مشروع اشوربانيبال للثقافة 9

هرقل

المؤثرات الرافدينية في صورة البطل



د. محمد حسين النجم

أستاذ الفلسفة الاغريقية كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

هرقل المؤثرات الرافدينية في صورة البطل

مشروع اشوربانيبال للثقافة 9

هرقل

المؤثرات الرافدينية في صورة البطل

د. محمد حسين النجم

أستاذ الفلسفة الاغريقية كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية



هرقل: المؤثرات الرافدينية في صورة البطل
د. محمد حسين النجم

الطبعة الاولى©: ٢٠١٨

العراق-بغداد-شارع المتنبي
الموقع الالكتروني: https://ashurbanipalbook.blogspot.com
https://plus.google.com/u/0/112577649219586336119





هذا المشروع

ان التطور المعرفي الهائل الذي يشهده عالم اليوم يجعل من تتبع احدث الدراسات في مجال التخصصات العلمية والانسانية على حد سواء امر ملزماً وضرورياً من اجل تقديم دراسات اكاديمية رصينة؛ كما ان التطور التقني الهائل اليوم يجعل من الحصول على هذه الدراسات الحديثة اليوم امراً اكثر يسراً مما سبق. كل ذلك يجعل من اعادة النظر في جوانب عدة من البحث العلمي في المنطقة الناطقة باللغة العربية مسألة اكثر الحاحاً مما سبق.

ان هذا المشروع يهدف الى نشر دراسات اكاديمية رصينة محلية أو عربية أو عالمية وتوفيرها الى القراء بوسائل سهلة وميسرة، وبالتالي فأن الدراسات التي يستهدفها المشروع تقسم الى ثلاث محاور:

- الدراسات القديمة التي تعد اليوم من المفقودات حيث يتم اعادة نشرها مجدداً.
- الدراسات الاكاديمية المؤلفة باللغة العربية والتي يتم نشرها وتوفيرها الى القراء والاكاديميين على حد سواء.
- الدراسات الاكاديمية المؤلفة باللغات الاجنبية والمترجمة الى اللغة العربية.

وبالتالي فإن المشروع يجعل الباب مفتوحاً امام الباحثين والمترجمين الذين يرغبون في نشر نتاجاتهم العلمية على صفحاته، وفق ضوابط هي:

1. ان يكون العمل المقدم للنشر اما من عمل الباحث؛ أو مترجم من احدى اللغات الاجنبية؛ او محقق ان كان مخطوطاً.
2. الا يكون العمل المقدم يحرض على الطائفية أو الكراهية أو العنصرية.

3. ان يكون العمل المقدم مكتوب باللغة العربية، وخالياً من الاخطاء الاملائية.
4. ان يكون العمل البحثي موثق بالمصادر والمراجع المطلوبة.
5. يقدم ملخص وافي للمشروع البحثي حتى يتسنى قبوله ضمن الاصدارات التي ستنشر.
6. عند حصول الموافقة على فكرة المشروع يتم ارساله كاملا مطبوعاً على مستند(Word) وان تكون الهوامش الخاصة بالعمل هوًامش تلقائية وليست يدوية.
7. ارسال سيرة ذاتية للباحث.

د. اسامة عدنان يحيى

المحتويات

المقدمة.

يقول ارنست كاسيرر: "لم نصادف تاريخياً اية حضارة كبيرة لم تخضع لجوانب اسطورية، ولم تشيع بها، فهل يمكننا القول بأن كل هذه الحضارات البابلية والمصرية والصينية والهندية واليونانية ليست اكثر من اقنعة للغباء البدائي ؟"[1] ولا شك ان الكثير من الباحثين حاولوا ان يغمزوا طرف الاسطورة واستحقاقها الانتماء الى ميدان الفكر من خلال ما تتسم به من سمات تنتمي الى جانب الشعر اكثر منها الى جانب الحقيقة. وحقيقة الحال ان التصوير (الشعري الذي في الاسطورة ليس مجرد سرد لقصة رمزية. ان هو الا ثوب اختاره البدائي بعناية للفكر المجرد)[2]. واذا كان (التفكير التأملي يحاول وضع دعامة تحت فوضى التجربة تمكنه من الكشف عن معالم بناء ما، معالم التنسيق والتماسك والمعنى التي هي فيه)[3] فالذي لا شك فيه ان ثمة (تداخل بين الشعر والحقيقة وبين الاسطورة والواقع والاثنان متطابقان)[4].

ان الانسان البدائي كان (يبحث دائماً في التعرف على طبيعة الاشياء واصولها، فهذه رغبة اصيلة في الانسان من حيث هو انسان، وهي التي تثير فيه حب التساؤل او حب الاستطلاع الذي يعتبر- فيما يتعلق بالفكر البدائي- اصل الميثولوجيا التي يمكن ان نطلق عليها بحق- كما يقول ستراكان Strachan اسم (الميثولوجيا البدائية)[5].

(1) كاسيرر، ارنست: الدولة والاسطورة، ترجمة د. احمد حمدي محمود، مراجعة احمد خاكي، القاهرة، 1975، ص19.

(2) فرانكفورت، هنري: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، بغداد، 1960، ص18.

(3) ايضاً ص13.

(4) كاسيرر، ايضاً، ص20.

(5) ابو زيد، احمد: نظرة البدائيين الى الكون، عالم المعرفة، مج1، ع3، الكويت، 1970، ص48.

وضمن هذا السياق اعتاد الباحثون ان يقسموا الاسطورة بشكل عام الى عدد من الانواع هي: الاسطورة الطقوسية المرتبطة بطقس ما والتي هي اقدمها واعمها على اعتبار ان الانواع الاخرى تنضوي تحتها، والاسطورة التعليلية التي تسعى لتعليل موضوعها، فيما الرمزية تعد تطوراً في التفكير الاسطوري والذي يستبدل التصريح المباشر عن موضوعه بالرمز واخيراً الاسطورة التاريخية والتي من الممكن ان تكون مرتبطة بنواة تاريخية بدأت تنسج القصص حولها حتى اخرجتها من واقعها التاريخي الى الفضاء الاسطوري[6].

وعن ستراكان، انظر:

Strachan, J.: "Creation" Art. In Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. Iv, Edinburgh, 1954, Vol. Iv .

(6) للمزيد من التفصيل انظر:

Bo, K. W. : "Myth and Mythology" Encyclopedia Britannica, Vol. 12. P. 799. The Univ. of Chicago, USA, 1980.

الذي نعتقده بقدر تعلق الامر بموضوع بحثنا عن صورة البطل هرقل انها اسطورة حظيت بمواصفات الكثير من انواع الاساطير التي اسلفنا وفقاً لزاوية النظر التي ينظر لها من خلالها، الا انها قبل هذا وذاك كانت اغنية شعب سعى لان يرسم لنفسه صورة البطل الكامل الذي اعتقد بأنه يستحق ان يحظى بشرف بناء الحضارة التي ينتمي اليها.

المجتمع الاغريقي، مثله مثل غيره من المجتمعات، امتلك عدداً وافراً من الابطال وفرة الحروب التي مرت بتاريخه والتي وجد امامه معيناً لا ينضب من صور وجوانب زخرت بها ذاكرة الشعوب التي شكلت ذلك المزيج السكاني الذي عاش فوق ارض اليونان، ليختار منها ما يشاء يشكل بها شخصية البطل الذي تصوره، مثلما ورث من سكان البلاد الاصليين- وهم البلاسجيين- السابقين على مجيء الهيلينيين قصصاً واساطير تدور حول مغامرات اشخاص بارزين يتضح من اسمائهم انهم غير يونانيين مثلما ان مسرح حوادثها ليست بلاد اليونان ذاتها[7].

ووفقاً لما سبق نجد ان دعوانا بالإسهام الرافديني في تشكيل صورة البطل اليوناني تنطلق من فرضيات ثلاث نجد ان البحث العلمي يقدم المزيد من الاثبات عليها كلما تقدم في مسعاه، وهي:

- الشعور الانساني المرهف ازاء صور البطولة وفعلها.
- التواصل والاتصال الذي غطى اجزاء شاسعة من العالم القديم.

---

(7) علي، عبد اللطيف احمد: التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976، ص184. انظر ايضاً: حوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه، العهد الفينيقي، دار المشرق، بيروت، 1972، ص83؛ جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984، ص569.

- لكل شعب من الشعوب صورته الخاصة لأبطاله المحليين.

ارتباطاً بما سبق نجد ان التواشج ما انفك متصلاً بين الفرضيات الثلاث آنفة الذكر حيث اسهم التواصل والاتصال بين انحاء العالم القديم مقترنا برهافة الحس الإنساني بدفع الانسان لأن يمتح من مجاوريه ما يجد انه يستحق اضفاءه على بطله الخاص، فـ (من المؤكد ان اغلب اجناس العالم القديم تملك قصصاً عن ابطال محليين بقوة وطاقة فائقة، الا ان هناك عناصر محددة من الموروثات تتعلق بهرقل التي لها ربما صلة نهائية مع مجموعة ملامح جلجامش)[8].

من هنا فأننا نتحفظ في تقرير نوع من انواع الاقتباس التام لأن مثل هكذا فعل يصعب التكهن به مثلما يعد اتهاماً لتلك الشعوب بنقص تفاعلها وشعورها ازاء البطولة وهو ما نربأ بأنفسنا عنه، بل نجد انها قد استعانت ببعض عناصر الصورة من مجاوريها.[9]

واذا صح القول بأن (البلاسجيين وهم من سكان اليونان السابقون للهيلينيين قد نزحوا الى اليونان من فلسطين في حدود 3500ق.م واقاموا في البيلوبونيز قبل مجيء الهيلاديين المهاجرين اليها من اسيا الصغرى)كما يرى روبرت كريفز[10] وازاء

---

(8)King, L. and D. Litt: A history of Babylon, Chato and Wimdus, London, 1919, P.290.

(9) للمزيد انظر:

Webster, T. B. L. : From my Cenae to Homer, Methuen and co. Ltd., P.64-5.

ايضاً: لطفي، عبد الوهاب يحيى: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص21-22.

(10) الشوك، علي: مفردات ميثولوجية اغريقية في الميزان اللغوي المقارن، افاق عربية، ع11، س4، بغداد، 1979، ص27.

انظر ايضاً:

Graves, Robert: Greek Myths, Pelican, 1959, USA, Vol. I, P. 34.

القـدم التـاريخي الـذي سجلته الحضـارة العراقيـة القديمـة ومسـتوى الانتشـار الـذي حققتـه، فأننـا نشـعر بالثقـة في ان نقـرر ان بعضـاً مـن هـذه العناصـر قـد اسـتمدها الاغريق من هذه الحضارة سـواء بسـبيل مباشـر او غير مباشـر، ذلك انه (من البديهي التسليم بالاعتقاد الثابت بأن حضارة وادي الرافدين قد احدثت تأثيرات اعظم على البلدان الاخرى في الشرق الادنى، ولقد جرى اثبات هذه الحقيقة مراراً)[11] سـواء فيما يخـص حضـارات العبـور الحيثيـة والعبرانيـة والكنعانيـة والميديـة والفارسـية والاخمينيـة، أو الحضـارة المسـينية ومـا سـبقها أو لحقهـا مـن حضـارات والتي شـكلت ميراثاً ثراً نهل منه المنشد اليوناني اجزاءاً لا يصعب استبيان اصولها.[12]

(11) رو، ذكر سـابقاً، ص570. وانظـر ايضـاً: فرنـان، جـان بيـار: اصـول الفكـر اليونـاني، ترجمـة د. سليم حداد، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1987، ص97.

(12) انظـر مـثلاً: فرانكفـورت، هنري: فجـر الحضـارة في الشـرق الادنى، ترجمـة ميخائيـل خـوري، منشـورات دار مكتبـة الحيـاة، بيروت، 1959، ص91. وايضـاً: اوبنهـايم، ليـو: بـلاد مـا بـين النهـرين، ترجمة سـعدي فيضي عبـد الـرزاق، بغـداد، 1986، ص49-50؛ عصـفور، د. محمـد ابـو المحاسـن: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص49.

هرقل: تخطيط اولي

تعود شخصية هرقل، كما يرى المنشد اليوناني، الى احدى نزوات (زيوس)، رب الالهة والناس، ذلك الاله المتصابي الذي لم يكفه ما يجد من آلهات يرتمين في حضنه فمد بصره الى احدى الفانيات من البشر (الكيميني) ليولدها البطل مما اثار حفيظة (هيرا) زوجته الالهية، فقررت الانتقام من الوليد. واذ ان (زيوس) كان قد رسم لولده مستقبلاً زاهراً واراده ان يكون ملكاً على جميع سلالة جده (بيرسيوس) فأن (هيرا) الغيور عملت بجد على ان يحظى بهذا الشرف (يوريسثيوس) اخوه التوأم من امه ايضاً ولكن من صلب (امفيترون) البشري، وهكذا صار البطل احد رعايا ابن عمه مما حرمه من المملكة الارضية فأنبأته نبوءة (دلفي) ان سيعوض عن ذلك بالخلود.

ويرى المنشد ان (يوريسثيوس) خشي من تعاظم قوة البطل فاراد ابعاده بتكليفه بعدد من الاعمال عسى ان يهلك فيها. وقد تردد البطل في تنفيذها مع علمه برغبة (زيوس) ابيه بذلك. ولكي يستكمل الحدث نموه الطبيعي قامت (هيرا) بإصابة (هرقل) بمس من الجنون قام على اثرها بقتل طفليه من زوجته (ميجارا). واذ أفاق من جنونه وشعر بثقل الجريمة التي ارتكبها قرر الاذعان للقيام بخدمة الملك.

ويشير المنشد الى طفولة البطل وشبابه وكيف ظهرت عليه سمات البطولة مذ كان في المهد حينما استطاع قتل افعوانين ارسلتهما اليه (هيرا) لقتله، وكيف انه اعان الالهة في صراعها مع العمالقة.

توزعت اعماله البطولية على مجموعة مختلفة من الواجبات لا تخلو احداهما من عمل مذل فكانت كالاتي:

- **الاول**: احضار جلد اسد نيميا.
- **الثاني**: قتل افعى (الهيدرا).

- **الثالث**: احضار غزالة (كيرينا).
- **الرابع**: احضار الخنزير (الاريمانثي) حياً.
- **الخامس**: وهو العمل المذل، تنظيف حضائر (اوجياس).
- **السادس**: طرد طيور (ستيمفالوس).
- **السابع**: السيطرة على ثور (كريت) واحضاره.
- **الثامن**: احضار خيول (ديوميديس).
- **التاسع**: احضار حزام (هيبوليتي) الامازونية.
- **العاشر**: احضار قطعان (جيريون).
- **الحادي عشر**: انتزاع التفاحات الذهبية من براثن التنين المكلف بحمايتها.
- **الثاني عشر**: احضار حارس العالم الاخر (كيربيروس).

وقد حدثنا المنشد عن سيرة البطل بعد تحرره من العبودية، ونهايته[13].

---

(13) اعتمدنا في متابعة الاسطورة الرواية التوليفية التي صدر بها الدكتور احمد عثمان ترجمته لمسرحية سنبيكا، هرقل فوق جبل اويتا، انظر: سينكيا (الفيلسوف الشاعر): هرقل فوق جبل اويتا، ترجمة د. احمد عثمان، مراجعة د. عبد اللطيف احمد علي، من المسرح العالمي، وزارة الاعلام، الكويت، 1980، ص11-85. كذلك استفدنا من كنجزلي حول الاسطورة، انظر: كنجزلي، شارل: هرقل وثيسيوس، تعريب امين سلامة، دار الفكر العربي، مصر، 1948. كذلك انظر:
Guerber, H. A.: The myths of Greece and Rome, George and Harber and Co.Ltd.., London, 1971, PP. 123-136.

خلفية الصورة

لا بد من الاشارة هنا الى ان الموروث اليوناني حمل صورة مشابهة لعقدة الحدث الذي تحمله اسطورة هرقل والمرتبطة بأحد ملوك (ميناى Minyae) في مدينة (بويوتيا) القديمة وهي من اعمال Orchomenu هذا الملك هو (اثاماس Athamas).

تروي الاسطورة ان (اثاماس) هذا تزوج اول مرة من (نيفيليه Nephele)، ولكنه حينما تزوج من (اينو Ino) اثار غضب (هيرا) لأن (اينو) هي التي ارضعت (دايونيسوس). ولمعاقبته حل بملكنا مس من جنون فذبح احد ابنائه (ليارخس Learchus)، فرمت (اينو) بنفسها مع ابنها الاخر (Melicertes) في البحر هرباً منه، وفيما بعد صارا الهين من الهة البحر، فتحولت (اينو) الى(Leucothea) وابنها الى (Polaemon). اما (اثاماس) فقد اضطر الى الهرب من (بويوتيا) تلاحقه لعنة ابنه الذبيح، وقضت عليه النبوءة ان يقيم مع الوحوش[14].

الذي لا شك فيه ان عناصر اساسية في هذه الرواية تتماثل مع (اسطورة هرقل) والتي من الممكن ان نعتقد بأنها ربما تكون احدى جذور الاخيرة، فقصة (اثاماس) لا تحتاج الا مجموعة من الاعمال التي تفصل اقامته مع الوحوش، بالإضافة الى مسحة من امل الخلاص من الذنب لتصبح لدينا صورة مقاربة لـ (هرقل)، اذا ما عرفنا بأن بطولة الاخير قامت على مجموعة من المغامرات مع (وحوش). واذا ما اضفنا بعض مكملات الصورة باستعارة جملة من الافعال الخارقة، فأن (اثاماس) لا يكون الا نسخة تقرب الى الكمال من (هرقل).

ان قيمة هذه الاسطورة في دعم دعوانا بكونها جذراً لأسطورة بطلنا بالإضافة الى ما تحمله من تماثلات، هو ما يحيط ببطلها من اعتقاد يتبناه الاستاذ روبرت براون في كتابه (الاثر السامي في الاسطورة الهيلينية) بكون شخصية (اثاماس)

---

(14) الشوك، ذكر سابقاً، ص107.

مأخوذة من (تموز) استناداً الى ان (اثاماس) يدعى في اللغة (الايونية)، وهي احدى اللهجات اليونانية القديمة، باسم (تاماس Tamas).[15]

ان مثل هذا الاستنتاج من الاستاذ براون على الرغم من صعوبة الاخذ به بحكم صعوبة القول بأن اسطورة الملك اليوناني تشبه اسطورة (تموز) شبهاً لا يدعو مجالاً للشك في وجود صلة بينهما، كما يرى الاستاذ علي الشوك، والذي يقصر الامر على الصلة اللغوية بين الاسمين لشدة تقارب اللفظين[16]، الا ان هذا الاستنتاج يكشف شدة الشعور الذي تنامى ولا زال عند الباحثين حول الدين اليوناني الكبير للأدب العراقي القديم.

---

(15) ايضاً ص107-108.

(16) ايضاً ص108.

خلفية الاستمداد

على مستوى المصادر.

نعتقد ان المنشد اليوناني لم يتقيد بمصدر واحد يستمد منه رسم صورة بطله، بل نوّع ذلك ليشمل عدداً وافراً منها. فأسطورة هرقل تبدو لنا توليف لأمشاج قصص وروايات عمل المنشد على التحوير والتبديل والاضافة والحذف فيها وصولاً الى اتمام عمله، مستعيناً بما امتلك حرية التصرف الناتجة عن اسلوب النقل الشفاهي غير المقيد بنص من جهة وطبيعة المنشد اليوناني ذاته الذي طالما تجاوز النصوص لينسج وفق ما يرى لا ما يرى النص.

ان اسطورة هرقل تتناثر اجزاؤها بين ثنايا عملي هوميردس (الالياذة)[17] و(الاوديسة)[18] مثلما نجدها عند هزيود في (انساب الالهة)[19]. الا ان واقع الحال هو ان هوميروس ينشغل، سحابة عمله ، في رسم شخصية (اخيل) و (اوديسيوس) مضيفاً ابطالاً اخرين كمكملات رواية يطرب السامعون للإطالة فيها بإيراد حكايات اخرى خارج الحدث، مثلما ينشغل هزيود بسرد مجريات الصراع الكوني الذي انتهى بتسييد (زيوس) على الكون، والذي يجعل صورة غيره من الابطال باهتة. وهكذا يكون تناثر صورة (هرقل) عندهما معيناً للمنشد في حرية التصرف يمكنه ان يضيف عليها ما شاء من أحداث. فإذا ما اخذنا باعتبارنا الحرية الناتجة من طبيعة المنشد ذاته والتي نجد لها دليلاً واضحاً عند زملائه ممن هم احدث عهد منه مثل

---

(17)Homer: Iliad, 2 vol., Loib classical lib., London, 1960, See: 2; 657-60, 5: 638-642, 8: 262-69, 368, 14: 689- 93, 15: 253, 18: 117- 19, 19: 97, 20: 145-8.

(18)Homer, Odyssey, Loib Class. Lib., London, 1960, See: 11:601- 604.

(19)Hesiod: The Homeric Hymns and Homerica, Liob., Clas. Lib. ,London, 1960, P.313- 332, 294- 278, 333- 336, 311, 521- 531.

اسخيلوس وسوفوكلس ويوريبيدس والذين لم يقيدهم نص ملاحم هوميروس التي جمعت واستقرت صورتها في عهد بيزيستراتوس (600ق.م) من ان يعيدوا صياغتها وفقاً لما يريدون[20]، يمكننا القول ان الافق كان واسعاً امام المنشد اليوناني ليعيد الصياغة ويكملها كما يرى.

وصفوة القول من المحتمل ان تكون هذه الاسطورة قد نشأت من نواة اغريقية صحيحة تأثرت وتطورت بفعل التأثيرات الشرقية او ان هذه النواة نفسها قد جاءت من الشرق لتنمو وتزدهر في بلاد الاغريق[21]. وهكذا يمكننا ان نلمس في صورة هرقل أجزاءاً من شخصيات (جلجامش) و(انكيدو) كأبطال ومن (انكي) و(انليل وننليل) و (مردوخ) بالإضافة الى اطار يمكن ان يكون مستمداً من (عشتار) و (تموز).

على مستوى البيئة.

مما لا شك فيه ان (معظم مرحلة البربرية في بحر ايجة معاصرة للمدنية في مصر وما بين النهرين)[22]، ومثل هذا الواقع لا بد ان ينعكس على ما يدبجه يراع الشاعر حينما يتصدى لرسم صورة بطله. وعلى الرغم مما سنرى من مواطن التماثل

---

(20) انظر مثلاً قصة (انتيكون) عن دفن اخيها (بولسينس) وقارن حرية تصرف الشاعر حولها عند سوفوكلس و يوربيدس كذلك حول (جوكاستا) عند يوربيدس التي تختلف عنها عند اسخيلوس و سوفوكلس بل وحتى عنها عند هوميروس، انظر:

Homer, Odyssey, 2: 277

(21) عثمان، ذكر سابقاً ص92.

وانظر:

Webster, op. cit., P. 84.

(22) تشايلد، جرودون: التطور الاجتماعي، ترجمة لطفي فطين، مراجعة كمال الملاح، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966، ص145.

والتشـابه بـين شخصـية بطلنـا وشخصـيات العـراق القـديم الا ان فارقـاً مهمـا يبقـى قائماً. فصورة البطولـة اليونانيـة تبـدو لنـا كاسـترجاع لماض لـم يكـن بعيـداً في التـاريخ اليونـاني، فحالـة الفوضـى التي عمـت بـلاد اليونـان بعـد الغـزو الـدوري (1100ق.م) متواشجة مع واقـع السـواد الاعظم من البلدات المتخلفة التي يعد الجزء الشرقي من اليونـان الكبرى اسـتثناءاً منهـا وهـو الـذي شـكل منـاطق اسـيا الصـغرى مثـل ايونيـا بالإضـافة الى كريـت ومـا جاورهـا مـن جـزر البحـر الايجي التي توطـدت فيهـا ركـائز الحضارة قبل الغزو[23]، اقـول لعل تلك الفوضى التي تجسـدت بالإهمال الـذي جعل المستنقعات الكثيرة تغطي مساحات واسعة تحيطها غابات كثيفة كانت ملاذاً للأسـود والوحوش المفترسة مثلما انتشر قطاع الطرق واللصوص الـذين اجهزوا على ما بقي مـن محاصيل ومواشي نهبوهـا او دمروهـا،قـد اقترن بمـوروث عصـر البطولـة اليونـاني الـذي تغنى بأمجـاده هـوميروس ليشـكل صـورة البطـل المنقـذ القـادر على تخلـيص الضعفاء من افعال الطبيعة والبشر.

وعلى هذا فالملاحظ هنا ان (هرقل) يتصدى لهذه المهمة في صورة يتلازم فيها التوظيـف المحكم للواقـع المحلي مع المـوروث العـالمي المحـيط آنئذ، واذا كنـا نجـد ان صـورة هرقـل وهـو يسـعى للـتخلص مـن الاسـد الـرابض فـوق جبـل (كيثـايرون) حيـث كانـت ترعى قطعـان (امفيترون) يمكـن ان تقـارب صـورة (جلجـامش) وهـو يسـعى للـتخلص مـن (خمبابـا = هـواوا) مثلمـا تقـارب غيرهـا[24]، الا اننـا يمكـن ان نجـد فارقـاً اساسـياً يكشـف طبيعـة الموقـف وواقـع الحـال بين البيئتين. فـاذا كانـت بلاد اليونـان ترسـف تحت ثقل التخلف الذي اشرنا اليه مما استوجب من البطل ان يتخذ موقـف

(23) انظر:

Benn, E. : History of ancient philosophy Methuen and co. , London, 1963, P. 44.

(24) كنجزلي ذكر سابقاً، ص12-14؛ وقارن : طه باقر: ملحمة، ص85-87.

المخلص لمواطنيه ومدينته من موقع (الدفاع)، فأن (جلجامش) يعكس صورة الرقي والحضارة والتطور العمراني الذي كانت ترفل فيه (اوروك) وغيرها من مدن العراق القديم، والذي دفعه للقيام ببطولته من موقع (الهجوم) على الوحش الرابض في غابات اشجار (الارز)، حيث وجد ان لا مناص من قتله لكي يمكن لعجلة المدنية ان تمضي في طريقها اذ ان اخشاب اشجار الارز احد اهم لوازمها. ان هرقل يدافع عن حياض مدينة استباحها الوحوش وقطاع الطرق، وجلجامش يمضي مهاجماً معاقل احدى العقبات التي بدون التخلص منها ستتوقف حركة البناء والعمران. وعلى هذا فأننا نجد ان اغلب بطولات (هرقل) لا تعدو ان تكون بلا هدف، وغير ذات قيمة، اذ انها اما ان تنتهي بإعادة ما ذهب لأجله الى مكانه، او لا يقدم ولا يؤخر كثيراً في تحقيقه[25].

(25) انظر:

Kirk, G. S. : The nature of Greek myths, penguin Books Ltd. London, 1974, P. 181.

صور الاستمداد

ارتباطاً بما سبق، سوف نحاول ان نؤشر صوراً نعتقد ان المنشد اليوناني قد استقاها من الادب العراقي القديم مع مراعاة محلية بطله:

على صعيد التسمية.

اسم هرقل هو المرادف العربي ل (Herakles او Hercules) ويرى بعض الباحثين ان الاسم اليوناني مستمد من (Hera) وهي الالهة اليونانية المعروفة و (Khleos) والتي تعني (مجد، نصر) وعليه فهو يعني حرفياً (مجد هيرا) او نصرها[26].

ان سياق الاسطورة لا يكشف لنا مبررات كون (هرقل) مجد هيرا او نصرها لاسيما اذا اخذنا باعتبارنا الصلة غير الحميدة بين الاثنين بل وسعي الاخيرة للقضاء عليه، اللهم الا اذا ما نظرنا الى حالة (الرضاعة) بصفتها الاساس لذلك، حيث تذكر الاسطورة ان (الكميني) والدة هرقل بعد خشيتها من اضرار (هيرا) على ايذاء وليدها القت به في العراء حيث عثرت عليه (اثينا) و (هيرا) حينما كانتا في جولة دون ان تعرفاه، واذ ان (اثينا) عذراء فقد طلبت من (هيرا) ارضاعه، والبحث عمن يتبناه شفقة به حيث سلمتاه الى ملكة اقرب مدينة (طيبة) وهي (الكميني) امه[27].

الا ان هذا الفعل عرضي، فبالإضافة الى ان (هيرا) قد ندمت بعد علمها بالوليد الذي ارضعته، فان (هرقل) لا بد ان يكون (مجد زيوس) الذي تراه الاسطورة

---

(26) عثمان، ص60.

وللتفصيل انظر:

Room, Adrian: Room's Classical Dictionary, Routledge and Kegan Paul, London, 1983, p.153-5.

(27) عثمان، ص 12.

والده الذي خط له مستقبله منذ ولادته، بل نجد ان بطلنا قد انقذ (هيرا) حين صد عنها هجوم العملاق (بورفيرون) ابان صراع الالهة مع العمالقة[28].

بل لعلنا نجد في صراع هرقل ابن زيوس مع (هيرا) انعكاساً لحالة الصراع بين الشرق والغرب آنئذ والتي انتهت الى ذلك الحدث الدامي ممثلاً بتدمير (طروادة) التي يبدو ان الاسطورة قد ظهرت قبل هذه الحرب بمدة طويلة اذ ان هوميروس يرى ان بعض الابطال من نسل هرقل او من نسل ابنائه قد شارك فيها[29]. وواقع الحال ان اعتقاد اليونانيين بالأصل غير اليوناني لـ(زيوس)، بل ورعايته من قبل حوريات يرى هيرودوت انهن فينيقيات من سلالة قدموس بعد ان اخفته امه عن ابيه حين ولادته[30]. وعلى الرغم من ان اسم (زوس) من اسماء الالهة اليونانية القليلة ذات الاصل الهندي- اوربي[31]، الا ان تعاطفه مع الاسيويين اثناء حرب طروادة ضد اليونانيين[32]، وارتباطه بصلة الابوة مع بطلنا ربما يكشف اصل شخصية (هرقل).

وحقيقة الحال ان المجتمع اليوناني كان مجمعاً على الاصل الشرقي للبطل (هرقل) فنجد هيرودوت يرى (ان هرقل صور هو اله وعبادته منتشرة في فينيقيا، قبل بلاد الاغريق التي تروى فيها الاساطير الحمقاء عن هذا الاله)[33]. مثلما ان المدينة التي جعلوه ينتسب لها هي (طيبة) تلك المدينة التي كانت تسمى عند تأسيسها (كادميا)

---

(28) ايضاً، ص 19.

(29)Homer, Iliad, op. cit.2: 653-670, 676-80.

(30)Herodotus: The History, in Great Books of the western world, the univ. Of Chicago, 1952.

(31) الشوك، ذكر سابقاً ص 104؛ وانظر

Room's, op. cit. P. 308.

(32)Homer, Iliad,

(33)Herod, op. cit., 2: 44, 45.

نسبة الى ملك صور (كاديموس) الذي اسسها[34]. واذ يرى الدكتور احمد عثمان ضعف الرواية التي تربط بين (هرقل) وبين الاله الفينيقي (ملقرت)، فأننا نجد ارجحية رأي الاستاذ عبد الحق فاضل الذي يرى ان (هيراكليس) اليوناني منقول عن اسم (ايراقال) الاكدي كما يكتبه، او من اسم اخر ربما كان (اثلاً) لكليهما، ذلك ان (هيراكليس) او هرقل برسمه المعرب، كان هو الاخر يقترن ذكره بالأعمدة مثل (ايراكال) الاكدي الذي يوصف في ملحمة (جلجامش)، ونزع الاله (ايراكال) الاعمدة.[35]

ولعل من المفيد الاشارة الى ان الاعمدة كانت من اساسيات المعابد في الشرق وبالذات في بلاد الشام، فالعمود والمذبح كان من الانشاءات الرئيسة للمعابد بل احياناً قد يقتصر المعبد على المذبح والعمود فقط[36]، وهو ما يعزز رأينا بالاستمداد الحر للمنشد اليوناني لصورة بطله من الشرق الذي كان آنئذ يدور في فلك الفكر والثقافة العراقية.

على صعيد الحدث.

يعتقد الاستاذ روبرت براون ان هيراكلس يذكرنا بالكلمة الفينيقية (Harakhal) التي تعني المسافر[37]. وحقيقة الحال ان (هرقل) يشاطر الكثير من شخصيات العالم القديم سمة بارزة فيهم هي التجوال والسفر. وليست بعيدةً عنا

---

(34)Room's , op. cit., P. 78-9.

(35) الشوك، ذكر سابقاً ص111. وانظر: عبد الحق فاضل: تاريخهم من لغتهم، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، 1977، ص63؛عثمان، ص88.

(36) الدباغ، د. تقي: آلهة فوق الارض، سومر، ج1-2، مج23، مديرية الاثار العامة، بغداد، 1967، ص124.

(37) الشوك، ايضاً ص111.

رحلـة (اوديسـيوس). الا ان قـرب الشـبه بـين بطلنـا وبـين شخصـيات الادب العراقي القـديم سـواء على صـعيد مبررات السـفر او طبيعـة الاحـداث التي واجهـا البطـل وكذلك نهاية سـفرته تجعلنا نرجح ان المنشـد اليوناني كان يرتل انشـودته وعينـه على العـراق القـديم، سـواء بشـكل مباشـر او غير مباشـر، واذ اننـا نـؤمن بـأن صـورة اوديسيوس واخيل كأبطال يونانيين لم ترسم بعيداً عن الاثر العراقي، كما بينا ذلك في غير هذا الموضع[38]، فأننا نزداد ثقة بسلامة تقرير هذه الحقيقة.

على صعيد الشخصية.

- **هرقل وجلجامش:**

لـو طالعنا سيرة حياة هرقل كما يوضحها لنا المنشـد اليوناني لوجدنا ما يجعلنا نشـك في مـا اذا كان هـذا المنشـد قـد قـرأ سـيرة جلجـامش او ملحمتـه، ام انـه تـوارد خواطر بين منشدين وجدا ما ينهلان منه معاً، فهرقل ولد (من زوس العظيم والكمينا في بيت كريم المحتد شريف النجاد من بيوتات طيبة الاصيلة الارومة. وكان طفلاً من القوة والجمال ما لم يسبق ان رأته عين او شاهده انسان[39]، ولم يقع بصر احد على حجمه وقوته وجماله الا وتعتريه دهشة عظيمة، اما فطنته وجسارته فحدث عنهما ولا حـرج[40]. وهـو (كـان اعجوبـة للنـاظرين، طولـه اربعـة اذرع، عينـاه تتلألئـان بإشعاعات نارية نورانية لا يخطئ اهدافه التي يصوب اليها سهامه. وعندما بلغ مطلع

---

(38) النجم، محمد حسين عبد علي: مشكلة الوجود في الفلسفة اليونانية قبل سقراط واصولها في الفكر العراقي القديم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1988، ص168-89.

(39) كنجزلي، ذكر سابقاً ص1.

(40) ايضاً ص2.

الشباب اصبح اجمل واقوى رجل في بلاد الاغريق طراً[41]. وهذه صورة لا تختلف عن (جلجامش):

بعد ان خلق جلجامش، واحسن الاله العظيم خلقه
حباه (شمش) السماوي بالحسن وخصه (ادد)
بالبطولة
جعل الالهة العظام صورة جلجامش كاملة تامة
كان طوله احد عشر ذراعاً وعرض صدره تسعة اشبار
وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي
وفتك سلاحه لا يصده شيء
ان جلجامش يرعاه (شمش) ويحبه
وحباه - آنو- و - انليل- و - أيا- بالفهم الواسع[42].

وبعد انجازه لأحدى اعماله يقول المنشد عن هرقل (ثم خرج واغتسل في مجرى ماء ومشط خصلات شعره الطويلة)[43]، (فخصلات شعره الكثيرة التجاعيد قد استرسلت واعضاء جسده قد طهرت وغسلت وسرى فيها الانتعاش. وكان يرتدي ثوباً من الكتان الابيض ويزين راسه بتاج من اوراق الحور البيضاء بينما تدلت قوسه وجعبة سهامه على كتفه وكانت في يده اليمنى هراوته ذات التضاريس والنتوءات)[44].

ويقول المنشد العراقي عن جلجامش:

غسل (جلجامش) شعره الطويل وصقل سلاحه

---

(41) ايضاً ص3.

(42) طه باقر (مترجم) ملحمة جلجامش، بغداد، 1975، ص 64-65.

(43) كنجزلي، ذكر سابقاً ص12.

(44) ايضاً، ص 4-5.

وارسل جدائل شعره على كتفيه

وخلع لباسه الوسخ واكتسى حللاً نظيفة

ارتدى حلة مزركشة وربطها بزنار

ولما ان تكلل جلجامش بتاجه[45].

ثم:

جاؤوا اليه بأسلحته وقلدوه بالسيوف العظيمة

زودوه بالقوس والكنانة واخذ معه الفؤوس

تنكب قوس (انشان) وتقلد سيفه[46].

ولو تابعنا ارسطو في اللازمة التي يرى انها في شخصية كل بطل عرفته الاساطير والحكايات والتي يسميها (الهماريتا Hamartia (او السقطة))، التي تعني ان تغير احوال البطل لا تتم بسبب الظروف القاسية التي تحيط به، وانما لأنه يسلم بان لكل الظروف- مناوئة كانت او مواتية- صوتاً واحداً، هو قدره، بل هو سقطته[47]، فأننا نجد ان البطلين يعانيان السقطة ذاتها قبل ان يتم التحول في حياتهما لينقلبا الى القيام بانجازاتهما البطولية، فعلى الرغم من رضى (زيوس) على طاعة (هرقل) لابن عمه (يوريسثيوس) فأننا نجد البطل يبقى متردداً حتى تحصل السقطة حينما اصيب بمس من الجنون فقتل فلذات كبده وهو يعتقد بانه يحارب العمالقة، وحينما افاق من جنونه وشعر بفداحة الجرم الذي ارتكبه، تحول للقيام بما كلف به من اعمال، مثله مثل (جلجامش) ذلك الذي (ما فتئ يضطهد الناس

---

(45) طه باقر، ملحمة... ذكر سابقاً، ص 89.

(46) ايضاً، ص 180.

(47) زكي، د. احمد كمال، الاساطير (دراسة حضارية مقارنة)، ط2، دار العودة، بيروت، 1979،ص243.

بمظالمه ليل نهار، على انه هو راعي (اوروك) السور والحمى، هو راعيهم ولكنه يضطهدهم)[48]، (لقد احل في المدينة العار والدنس وفرض على المدينة المنكودة، المنكرات واعمال السخرة)[49]، كان جلجامش يتسم بعدم الاتزان[50]، وقد رفعت المدينة عقيرتها بالدعاء لعلها تتخلص مما اصابها. وقد استجابت السماء بإرسال (انكيدو) الى جلجامش لتتوطد الصداقة بينهما بعد صراع، ثم ليكون موت انكيدو (السقطة) التي غيرت مسار حياة البطل. ومثلما سعى جلجامش يوماً لان يدخل ارض الاحياء ليحفر لنفسه اسماً[51]، كذلك كان هدف (هرقل) بأعماله لكي يخلد له مجداً او صيتاً[52]. و يمكن ان نجد كذلك تماثلاً بين مسلك (جلجامش) و (انكيدو) مع عشتار[53]، ومسلك (هرقل) مع (يوسايدون) وبعض الالهة الاخرى[54]، بل اننا نجد تماثلاً واضحاً بأسلوب العقاب الالهي، فبعد ان اهان (جلجامش) و (انكيدو) (عشتار) ارسلت لهما ثور السماء ليعيث في الارض فساداً حتى استطاع البطلان القضاء عليه ورموا عشتار بفخذه[55]، وهو ما فعله (يوسايدون) الذي اصاب الثور الذي وهبه الى (مينوس) بالجنون عقاباً على مخادعة الملك باستبدال الهدية بغيرها من الثيران وهو ما جعله يعيث في الارض فساداً ايضاً[56]، بل اننا نجد ان صديق

---

(48) طه باقر، ملحمة، ص77.

(49) ايضاً ص7.

(50)Kirk, op. cit., P. 201.

(51) طه باقر، ملحمة، ص77.

(52) كنجزلي، ص7.

(53) طه باقر، ملحمة، ص91-93.

(54) عثمان، ذكر سابقاً ص51.

(55) طه باقر، ملحمة، ص94-96.

(56) عثمان، ص29.

(جلجامش) (انكيدو) هو الذي ذهب ضحية قتل الثور السماوي حين قررت الالهة ان يموت لفعله ذلك[57]، مثلما ذهب صديق (هرقل) (ابديروس) ضحية خيول ديوميد التي ائتمنه عليها البطل حتى يعود من مهمة اخرى[58]، واذا كان البطلان العراقيان قد تسببا في بكاء عشتار وذهابها الى (ابيها) (آنو) تشكوه[59]، فان (هرقل) كان على صلة سيئة بـ(هيرا) طيلة حياته، بل انه هدد اله الشمس (هيليوس) بان يسقطه بسهامه حين لفحته حرارته[60]، كما والتحم في صراع مع (اريس) اله الحرب واوشك ان يدق عنقه لولا تدخل (زيوس)[61]، بل واصاب (هاديس) اله العالم الاسفل بالجراح حين ذهب لإحضار الكلب (كيربروس)[62].

بل ويمكن ان نجد تماثلاً بين شخصيات اخرى التقاها البطلان في اثناء مغامراتهما. فمثلما التقى (جلجامش) في طريقه صاحبة الحانة (سيدوري) التي تسكن قرب البحر لترشده بعد لأي الى (اورشنابي) ذلك الملاح القادر على الابحار به الى مرماه[63]، كذلك الامر في رحلة (هرقل) لجلب (التفاحات الذهبية) حين وصل الى بحر (الاريدانوس) وعبره حيث التقى عرائس البحر القاطنات في مياه النهر واللاتي قمن بإرشاد البطل الى اله البحر العجوز (نيريوس) الذي دله على مبتغاه[64]. وكما

---

(57) طه باقر، ملحمة، ص99.

(58) عثمان، ص30.

(59) طه باقر، ملحمة، ص93.؛ قارن: عثمان، ص33.

(60) عثمان، ص33.

(61) ايضاً ص34.

(62) ايضاً ص38.

(63) طه باقر، ملحمة، ص121.

(64) عثمان، ص34.

كان (شمش) اله الشمس الاله الحامي لـ(جلجامش) [65] كذلك كان (زيوس) لـ (هرقل)[66]. وكما كانت (ننسون) ام جلجامش الالهة التي رعته بدعواتها واوصت به اله الشمس ان يرعاه وان يكلف الاله (القمر- سين) ان يواصل رعايته حين غيابه[67]، نجد الالهة (اثينه) تفعل الامر نفسه مع هرقل، فهي التي انقذته حين القي به في العراء لتعيده الى امه وهي التي اعانته حين اعياه اصطياد طيور (ستيمفالوس) فأنجدته بالوسيلة لذلك[68].

هرقل و (انكي):

واذا ما استعان المنشد اليوناني ببعض اجزاء ملحمة (جلجامش) فانه، كما يبدو، كان حراً بالاستعانة بصور اخرى ربما وصلته من ادب العراق القديم، فما فعله (هرقل) في رحلاته التي سعى فيها للقضاء على بعض مظاهر التخلف كما قلنا سابقاً، تذكرنا برحلة الاله (انكي) الذي انطلق ليوزع على المدن التي زارها (الميات) (مي Me) والتي تعني عند العراقي القديم اسس الحضارة والتقدم او نواميس الالهة. و (انكي) هو اله الاعماق التي يرتبط بمياه الينابيع، وهو مثله مثل (هرقل) يصف نفسه (ابي، ملك الكون، قد اتى بي الى الوجود في الكون... جمع الـ(ميات) كلها، ووضع الـ(ميات) بيدي)[69] ويقول (انا البذرة المنتجة، ولدني الثور الوحشي العظيم، انا اين (آن) البكر)[70] ويقول: (انا الرب الذي امره لا يعارض، انا الاول في الامور كلها، بأمري

(65) طه باقر، ملحمة، ص56؛ وانظر ص87-88.

(66) عثمان، ص20.

(67) طه باقر، ملحمة، ص83-84؛ وقارن كنجزلي، ص11.

(68) عثمان، ص11، ص28.

(69) كريمر، السومرية، ذكر سابقاً ص237.

(70) ايضاً ص237.

شيدت الاصطبلات، وسورت الحضائر)[71]. و(هرقل) مثل (انكي) له علاقة بينابيع المياه الطبيعية واكتسابه القاب (السفلي) (المقدس) (النقي) (جالب الصحة) مثلما عبد كاله لقوة الخصب التي تمنح الخصب للأرض. فقد فتح قناة لتصريف المياه الزائدة، اقام سد على (ثيمريس) في بلدة (كيفالوبدون)بصقلية، كذلك عد القوة الالهية التي تمد الارض بالمياه وارتباطها بخصب الارض[72]، وهذه كلها اوصاف يمكن ان نجد مقابلاتها عند (انكي) الذي يقول عن نفسه (انا الذي يأتي بالرخاء الكامل)[73] و (انا- العاصفة العظيمة- التي تنطق من الاسفل العظيم)[74]. واذ يؤكد (انكي) بخيلاء (انا الاول في الامور كلها) فهو امر يحمل في طياته رفضاً لأن يكون ثانياً، وهي الصورة التي نجدها عند (هرقل) وما يحمل من كراهية ان يكون ثانياً، فحينما حاصر البطل مع رفاقه (طروادة) واخترق رفيق سلاحه (تيلامون) اسوار المدينة قبله اشتعلت الكراهية والغيظ في صدره اوشك على اثرها ان ينقض بسلاحه على صديقه ولم ينجه منها الا حيلة احتالها عليه ليقنعه بأنه الأول وليس الثاني[75].

واذ امتدت بطولات (هرقل) من مشرق الشمس حين لاحق غزالة (كيرينا)حتى وصل الى ارض (الهيبربوريين) التي يعتقد انها (سيبريا) الى مغربها حتى وصل الى المحيط الاطلسي حيث أقام عمودي هرقل (جبل طارق)[76]، كذلك نجد

---

(71) ايضاً ص238.

(72) عثمان، ذكر سابقاً ص69.

(73) كريمر، ذكر سابقاً ص238.

(74) ايضاً ص237.

وللمزيد حول انكي انظر: بوتيرو، جان: بلاد الرافدين، ترجمة الاب البير ابونا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1990، ص289-94.

(75) عثمان، ص49.

(76) ايضاً ص25.

(انكي) في رحلته يوزع (المياه) من شروق الشمس الى غروبها على الارض، وهو في هذا يملأ الانهر بالماء النمير ويشق القنوات وينظم الاهوار ويملأها بالسمك والقصب الاخضر وينظم المطر والمحراث والفدان ويعين عليها المسؤول عنها مبتدئاً ببلاد سومر نفسها، ثم انتقل الى (اور) بعدها توجه نحو (ملوخا) و (دلمون)، وهو في كل هذا يعمل كل ما من شأنه ان يجعل بلده (سومر) بلد العالم، المغمور بالنور الثابت[77].

(77) كريمر، ذكر سابقاً ص242. وللمزيد انظر: فالكنشتاين، أ.: ترتيلة اريدو، سومر، ج2، مج7، بغداد، 1951، ص185-198.

البطل والصراع

يمكن القول ان فكرة الصراع هي ميراث الشرق الادنى القديم ومجاوريه من بلاد الرافدين. واذ تتقدم المجتمعات من حالة التخلف نحو الحضارة فأن الصراع يكون سبيلاً لاحباً نحو تحقيق ذلك الهدف. ولاشك ان الحال يتماثل في جميع شعوب ومجتمعات ذلك العالم الا ان ترداد هذه الفكرة في الكثير من مفاصل الادب الرافديني يجعلها في موقع التأثير.

لقد دفع الايمان بالصراع المنشد العراقي القديم لأن يجعل من هذه الفكرة اساس البناء الكوني برمته، وقد تغنى بأمجاد (مردوخ) الذي فرض النظام على حالة الفوضى البدئية من خلال صراعه مع (تيامة). واذ يحقق ابن الاله العراقي انتصاره على الفوضى[78]، كذلك يفعل (هرقل) اين الاله (زيوس) حين اكدت النبوءة ان الصراع الكوني مع العمالقة لا يمكن انجازه دون البطل[79]. ويبدو صراع الالهة مع العمالقة عند المنشد اليوناني جزءاً من سلسلة اعمال لا صعب ربطها بملحمة الخليقة البابلية. ان (تيامة) العراقية لا تختلف كثيراً عن (هيدرا ليرنا) اليونانية، تلك الافعى المائية التي حالما يسحق رأساً منها حتى يظهر مكانها عدد اكبر، ولعل ما يميز (هيدرا ليرنا) عن زميلتها (تيامة) هو ما يميز اللغة اليونانية عن مثيلتها البابلية، فتيامة هي المياه البدئية التي تمثل امتزاج الماء المالح بالعذب[80]، مثلما (الهيدرا) هي اللفظ اليوناني(Hydre) الذي يعني الماء[81]، فالأمر اشبه ما يكون ترجمة اللفظ البابلي الى اليوناني. والذي يلاحظ ان الهيدرا هذه قد وصفت بتعدد الرؤوس الذي

(78) طه باقر: قصة الخليقة البابلية، سومر، ج1، مج5، 1949، رقيم/ 4 س136- 146.

(79) كنجزلي، ذكر سابقاً ص80.

(80) طه باقر، قصة، ذكر سابقاً ص4.

(81)Room’s, op. cit., P. 164.

يعني من جملة ما يعنيه المنابع المتعددة التي تغذي المستنقعات المنتشرة[82]، ويظهر (هرقل) مصارعاً عنيداً لكل اشكال المياه العكرة.وتبدو حالة صراع بطلنا مع الماء كذلك فيما نجده مع اله الماء (يوسايدون)، ذلك الجبار الذي طالما حدثنا منشدو اليونان وعلى رأسهم هوميروس عن مناصبته العداء لأبطالهم. واذا كان اوديسيوس قد قضى سحابة ملحمته مصارعاً لهذا الاله، فأن (هرقل) لا يعدم مناسبة يواجه فيها يوسايدون وهما يتنافسان على طلب يد (ديانيرا)[83].

والذي نعتقده ان المنشد اليوناني قد استثمر رواية عراقية اخرى ليثبت من خلالها بطولة بطله.. ومثلما فعل بوسايدون مع ديانيرا حدثنا المنشد العراقي عما فعل (انليل) مع (ننليل)ذلك الاله الذي وقع في غرام تلك الالهة فراودها عن نفسها لتمتنع. ولأجل كسب ودها فعل (انليل) ما سيفعله (يوسايدون) بأن تقمص ثلاثة اشكال مختلفة وصولاً لغرضه، وكما اعان البحار (نوسكو) الاله (انليل) في تحقيق مأربه بقاربه كذلك فعل البحار (ثيسوس) حين اراد اختطاف (ديانيرا). واذا كان (انليل) قد حقق مبتغاه من (ننليل) فأن (هرقل) يأبى الا ان يحرم الاله من غنيمته[84].

ان صراع البطل اليوناني مع اله الماء يبدو كتنويع لذات الصراع مع (الهيدرا)، بل لعلنا لا نعدم اشارة الى فعل مردوخ مع تيامة عند (هرقل) الذي يرى المنشد اليوناني انه بعد انتصاره على (الهيدرا) قام بشطرها الى نصفين[85]. واذا كان مردوخ قد شطر (تيامة) الى نصفين ليفصل الماء العذب النازل من السماء عن المياه الجوفية المرة الراكدة في اعماق الارض، او بتعبير العراقي القديم خلق من نصفيها

---

(82)Kirk, op. cit., P. 185.

(83) عثمان، ص51.

(84) كريمر، ذكر سابقاً ص195.

(85) عثمان، ص24.

السماء والارض[86].فأن فعل (هرقل) يبدو باهتاً بلا معنى، فهو لا يفعل فعله الا لكي يغمس سهامه في دم (الهيدرا)[87]، وهو ما يكشف ربما عن الاستمداد لفكرة مع سوء في التوظيف.

ان صراع (مردوخ) مع (تيامة) من الافكار التي اثارت انتباه الباحثين حول اثرها في الاساطير اليونانية سواء ما يتعلق بهرقل او بغيره، فنجد مثلاً الاستاذ كورنفورد يرى ان ثمة مشابهة بين مصرع تيامة على يد مردوخ وصراع (زيوس) مع التنين (تيفوس)[88]. ومما هو ذو مغزى ايمان اليوناني القديم ان (تيفوس) هو احد ابناء (الهيدرا).

---

(86) طه باقر، قصة، ذكر سابقاً ص4، رقم/4 سطر 137-138.

(87) عثمان، ص24.

(88)Cornford, F. M.: Unwritten philosophy, Cambridge, 1967, P. 106.

وانظر ايضاً: عبد الحق فاضل: طيفون واوزيرس، المورود، ع1، مج8، وزارة الثقافة، بغداد، ربيع 1979، ص105؛ فرنان، ص97؛ كذلك: انيس فريحة: ملاحم واساطير من راس شمرا، دار النهار، بيروت، 1979، ص51.

هرقل وحضائر اوجياس

لا ندري ان كان المنشد اليوناني يسعى لإنصاف العبيد الذين طالما احتقرهم المجتمع وجعلهم في مستوى دون مستوى البشر حيث كانوا يباعون مع الارض فيما عرف بمرحلة (القنانة)[89]، او انه يريد تكريس غرض آخر، اذ يصعب التتبع التاريخي لأغلب بطولات (هرقل).

ان دراسة لطبيعة المجتمع الاغريقي وتطوره ربما تكشف لنا ما اضيف من قصص الى اصل الاسطورة وتاريخها، وهو امر عسى ان نوفق اليه في فرصة اخرى.

ان تنظيف حضائر اوجياس[90] لعلها من الاعمال التي تؤكد ما ذهبنا اليه عن حالة التخلف والنكوص الحضاري الذي جعل من الحضائر مهملة لمئات السنين دون نظافة، كما يشير المنشد، ان عنصر المبالغة واضح والهدف منه الارتقاء بالعمل الى مستوى البطولة، الا انه يكشف دون شك احدى الحالات المعتادة في زمن المنشد حيث استثمرها. بالإضافة الى ذلك يبدو لنا من الغريب النزول بمستوى البطل الى عمل لا يبدو كريماً مهما حاولنا تبريره، وان الاستعانة بالنهر للقيام بالمهمة لا تعفي المنشد من جريرة الاساءة لبطله والمرتبطة بالتكليف اساساً. مثلما انه لا ينسجم مع النية التي برر بها (يوريسثيوس) تكليف بطله بالأعمال فاذا كان قد قال (واني الان اعمل فكري كي اوفق الى عمل اعهد به اليك فتجنى من ورائه شهرة وصيتاً واحتراماً وتبجيلاً)[91] فأين هو هذا من هذا ؟

---

(89) للمزيد من التفصيل انظر: تومسون: اسخيلوس واثينا، ترجمة عبد المسيح ثروت، دار الحرية، بغداد، ص93 وما بعدها.

(90) انظر:

Kirk, op. cit., P. 186.

(91) كنجزلي، ص7.

ولعله من المناسب الاعتقاد بان عمل البطل هذا يرتبط بعمليات استصلاح الاراضي وشق الترع والقنوات للإرواء وهو عمل لا شك مشترك في المجتمعات الزراعية، كما يمكن النظر الى الاتفاق بين الملك اوجياس والبطل هرقل والذي نص على ان يعطي البطل بعد انجاز عمله عشر ممتلكاته من قطعان الماشية ما يعد تبريراً لطقوس عبادة البطل في (ايطاليا) حيث كانت تقدم له ضريبة العشر[92].

ان مسلك البطل في انجاز عمله يقترب كثيراً من عمل احد زملائه العراقيين (قام هرقل بحفر خندق في جانب من الارض وحول مجرى (الفيوس) و (بينوس) وهما نهران يجريان في المنطقة فجرفا الروث عبر الخندق المحفور بأمواجهما الفياضة المتدفقة)[93]، يقول المنشد (استعمل قوته في تكديس الكتل الخشبية عبر النهر، وكون احجاراً ضخمة كساها بالتربة، ثم قفز بنفسه فوق قمة الخزان كي يثبت كل شيء ضد حدوث فيضان)[94]، ثم يخاطب النهر (فلتتدفق مياهك اليوم فقط في قناة جديدة، ولتنظف في واديك هذا)[95].

وهذا المسلك يذكرنا بذات الفعل الذي قام به (ننورتا) العراقي مع النهر (كور) لقد وضع ننورتا الاحجار فوق (كور)، وكدسها حتى اصبحت كجدار عظيم امام بلاد سومر فاحتجزت هذه الحجارة المياه الجبارة، مما جعل مياه (كور) غير قادرة على الارتفاع الى سطح الارض . اما بالنسبة للمياه التي سبق ان غمرت الارض، فأن ننورتا جمعها واعادها الى نهر دجلة الذي اصبح الان قادراً على ارواء الحقول بفيضه.

---

(92) عثمان، ذكر سابقاً ص70.

(93) ايضاً ص27.

(94) كنجزلي، ص37.

(95) ايضاً، ص38.

ما كان قد تبدد من المياه جمعه

ما كان قد تبدد من (مياه) كور

جره وسلطه في دجلة

المياه العالية صبها على الحقول

فانظر الان كل شيء على الارض

قد ابتهج من بعد بـ(ننورتا) ملك البلاد[96].

انهما صورتان ربما جمعهما واقع الحال، وربما الاستمداد.

---

(96) كريمر، ذكر سابقاً ص202-203.

لا شك ان الخصب يعد الفكرة الاساسية في المجتمعات الزراعية القديمة، ونتيجة للمماثلة التي سادت تلك المجتمعات بين خصوبة الارض وخصوبة المرأة وما يرتبط بالأخيرة من ممارسة تؤشر دور العنصر الذكري فقد بات شائعاً ان ماء السماء المرتبط بإلهها حينما يسقط على الارض (الالهة الام) تزدهر الطبيعة ويعم الخصب. وقد امتدت قوة الخصب هذه مع قوة الجسد لتشمل بعض ما بمحيطه من حيوان، وهكذا اختارت تلك المجتمعات بعض الاوصاف التي تطلقها على ابطالها ومن باب اولى على الهتها كوصف (الثور)، الذي مثلما كان (جلجامش) مثالاً له كذلك كان (زوس)[97].

ان المنشد العراقي القديم ربط بين حالة الطبيعة الاولى وبين التوحش ايماناً منه بأن الحضارة هي حالة فرض النظام على فوضى التوحش سواء على مستوى الكون او على مستوى المجتمع والانسان. وفرض النظام لا يتم الا بالقوة، قوة الجسد او قوة الخصب.

الا ان الملفت للنظر ان العراقي القديم قد شخص دور المرأة في عملية الانتقال الى التحضر، وهي صورة نجدها واضحة في ملحمة جلجامش في حالة ترويض (انكيدو)[98] كما يمكن ان نجدها في حالة (عشتار) و مسلكها مع (انكي) حين استطاعت الحصول منه على (ميات) الحضارة لمدينتها[99]. ويبدو ان ما دفع المنشد العراقي الى هذا الربط هو ما ينتاب قوة الذكر من وهن بعد اشباع رغباته، ولهذا نلاحظ ان (جلجامش) حينما وصله خبر (انكيدو) ارسل له في الحال بغياً تروضه،

---

(97) طه باقر، ملحمة، ص56.

(98) طه باقر، ملحمة، ص63-64.

(99) فالكنشتاين، ذكر سابقاً، ص193-194.

ولكي يبين لنا قوة التوحش او قوة الطبيعة المطلوب ترويضها يشير المنشد الى ان (انكيدو) ازجى سبعة ايام متصلة وهو يواقع البغي. لنلاحظ امر جلجامش للصياد:

وليعطك بغياً مومساً تصحبها معك ايها الصياد

دعها تسيطر عليه وتروضه

وحينما يأتي ليستقي مع الحيوان من مورد الماء

دعها تخلع ثيابها وتكشف عن عورتها ومفاتن جسمها

فهو لما يراها فأنه سيقترب منها وينجذب اليها

وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية[100].

وبعد ان فعلت ما امرت:

ليث (انكيدو) يتصل بالبغي ستة ايام وسبع ليال[101].

وبعد ان شبع من مفاتنها[102]

خذلته ركبتاه لما اراد اللحاق بحيواناته

اضحى (انكيدو) خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل

رجع وقعد عند قدمي البغي[103]

وصار يطيل النظر الى وجهها[104].واذ تحقق التدجين كان لا بد ان يأتي (انكيدو) الى (اوروك) لرؤية (جلجامش)، وهنا يبدأ الترويض العضلي حيث يحصل الصراع عند ابواب (اوروك) لينتهي الى الترويض التام حين يعلن انكيدو استسلامه واعترافه

---

(100) طه باقر، ملحمة، ص60.

(101) ايضاً ص67.

(102) ايضاً ص62.

(103) ايضاً ص63.

(104) ايضاً ص63.

بملكية (جلجامش)[105]. واثباتاً لتحضره وتأشيراً لمرحلة جديدة في حياته يشير المنشد الى ان انكيدو:

اخذ سلاحه وانطلق يطارد الاسود ليريح الرعاة
في المساء
اصطاد الذئاب وقهر الاسود
استطاع الرعاة ان يهجعوا في الليل مطمئنين
صار (انكيدو) حارسهم وناصرهم
انه الرجل القوي والبطل الاوحد[106]

ان ما دفعنا لكل ما مر من توضيحات هو لنشير الى ان (هرقل) يظهر وكأنه يتلبس بأوصاف (انكيدو)، فالكثير من صفاته تتسم بروح التوحش، ومن الجدير ذكره ان (هرقل) حين كان في الجبال بعد ان ارسل لكي يتعلم الموسيقى وفنون القتال من قبل (بوريثيوس) لم تكن اخلاقه قد تروضت بعد بل نجده في لحظة غضب ينهال على معلمه بـ(القيثارة) ليرديه قتيلاً[107]، بل ان صفة الجنون ذاتها التي كثر ما تحدث المنشد عن معاودتها له في احيان كثيرة تكشف بوضوح عن طبيعة التوحش هذه[108]، وعلى الرغم من اكتفاء المنشد اليوناني بالقول بأن افاقة (هرقل) من جنونه جعله يستسلم لإرادة (زوس) والخضوع الى ملكه[109]، الا اننا يمكننا القول انه لم

---

(105) ايضاً ص63.

(106) ايضاً ص69.

(107) عثمان، ص13.

وانظر:

Guerber, op. cit., P. 123.

(108)Kirk, op. cit., P. 207.

(109) عثمان، ص21.

يفعل الا ما فعله (انكيدو) واذ ينقلب الحال من الاعتداد بقوة الجسد الى الاستسلام والخضوع عند البطلين، فأننا نلحظ تماثلاً بينهما كذلك فيما يتعلق بقوة الخصب وترويضها.

لا نعرف عن طبيعة البغي التي روضت (انكيدو) شيئاً، وفيما اذا كانت احدى بغايا المعابد ام كاهنة المعبد الكبرى ام من محترفات البغاء في المجتمع، الا اننا نعرف ان الملكة اومفالي سلكت مع هرقل ما يماثل تلك. ويرى المنشد اليوناني ان هذه الملكة اعجبت بقوة وشجاعة (هرقل) الذي صار خادماً لها بعد حادثة ربما ذات مغزى. فالبطل بعد ان اتم اعماله الاثني عشر فكر بالزواج، واذ وجد صعوبة في البقاء مع (ميجارا) زوجته التي قتل ابناءه منها، ذهب الى (يوريسوس) ملك (اويخاليا) ليخطب ابنته (يولي)، الا ان الاخير رفض مما اغضب البطل، كما ان (امنيتوس) ابن الملك ناصر البطل في طلبه مما وثق اواصر الصلة بينهما، بعدها تأتي حادثة عرضية هي سرقة قطعان ملكية تدفع الملك للاعتقاد بأن (هرقل) هو السارق. وهكذا يمضي البطل بصحبة ابن الملك للبحث عن هذه القطعان. وقد انتابت البطل لحظة جنون اخرى قتل على اثرها صديقه (امنيتوس) ضاناً انه اللص مما يحتم عليه التكفير عن جريمته بأن يباع في سوق النخاسة ويدفع ثمن بيعه الى والد القتيل الذي رفض تقبله. وهكذا يصبح خادماً عند (اومفالي)[110].

تخرج هذه الرواية عن اعماله التي حررته واكسبته مجداً مما يجعلها محاولة لإكمال صورة البطل. ومصدر اعجاب الملكة بشجاعته تمثلت بمعاقبته اللصوص الذين كانوا يهددون كل المناطق التي كانت تحكمها الملكة وجيرانها، كما قتل عدداً كبيراً من (الكيركوبيس) الذين كانوا يعيشون بالمنطقة حول (افيسوس) فساداً

(110) ايضاً ص46-48.

كما حارب (الايتونيين) الذين كانوا يغزون اراضي الملكة فسوى مدينتهم بالأرض[111]: (اصبح رجل نفسه يقتل الوحوش الكواسر بكلتا يديه، ويعين الضعفاء في نضالهم مع الاقوياء)[112] وان (نزعة الشوق الى القيام بعمل مجيد كانت تطغى على نفسه وفكرة تخليص قوم عذبهم ذلك الوحش الكاسر بدت له خير عمل يتوج رؤوس الابطال)[113] وهي اوصاف (انكيدو) ذاتها إلا إنها توضع في سياق مختلف. ومهما اختلف السياق فأن صورة (انكيدو) تبقى واضحة، فالمنشد اليوناني يرى ان (هرقل) نسي التعاليم نتيجة ترف الحضارة فأنغمس في اللذة حتى صار عبداً اسيراً لها مخنثاً لا يبحث الا عن ناعم العيش، وبالغت (اومفالي) في تحقيره واذلاله[114]، دون ان يخبرنا المنشد عن السبب الذي دعاها لذلك بعد ان اتخذته زوجاً لها وليس عبداً. وقد بلغ جنون العشق الاعمى بـ (هرقل) الى حد انها كانت تأمره فيجلس عند قدميها[115].

ويمضي المنشد في وصف سلوك الملكة غير المبرر حين تلبسه ثياب النساء وتأمره بأن يجلس بين نساء القصر يروي بطولاته كما زينت عنقه ورسغه بقلائد واساور النساء. ويمضي على هذه الحال ثلاث سنوات ثم يعود الى نفسه بطلاً هماماً صاحب بطولات وسليل (زوس)[116]. ان مسلك (اومفالي) يقابله مسلك (البغي)، الا ان الاخيرة تبدو متسقة، نعم هي كذلك البسته ثوب النساء حين شقت ثوبها شقين،

---

(111)Kirk, op. cit., P. 184-5.

(112) كنجزلي، ص2-3.

(113) ايضاً ص10.

(114) عثمان، ص47.

(115) ايضاً ص47.

(116) ايضاً ص47؛ وينظر:

Kirk, op. cit., P. 196.

ولكـن لغـرض مختلـف هـو ان تلـبس (انكيـدو) العـاري، كـذلك وعدتـه ان تدلـه على (جلجامش) حيث قدم له الطعام والشراب الذي تحير امامه واضطرب ثم اتسق بعد ان قالت له (كل الطعام يا انكيدو فانه مادة الحياة، واشرب من الشراب القوي فهذه عـادة الـبلاد)[117] ثـم (نظـف جسـده المشـعر ومسـحه بالزيـت واضـحى انسـاناً، لـبس اللبـاس وصـار كـالعريس)[118]. و(انكيـدو) بعـد تدجينـه (صـار فطنـاً واسـع الحـس والفهم)[119] وتخاطبه البغي (صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو واصبحت مثل الـه، كلما نظرت اليك يا انكيدو بدوت لي مثل اله)[120].

هـذا التغير في الشخصية لا نعدم ما يماثله منثوراً في طوايا سيرة (هرقـل)، فـ(بينما كان يجوس خلال غابة بلوط كثيفة، اذ به يرى معبداً صغيراً مقدساً لفيبـوس (ابولـو) فدخلـه وانكفـأ على وجهـه مـثقلاً بـالهموم والالام التي جلبهـا عليـه عصـيانه ودهـش الكاهن المنـوط بحراسـة المعبـد من رؤيـة هـذا الوجـه الضـخم مطروحـاً امامـه على تلك الصورة، فأقترب منه وتحدث اليه، وكان ذلك الكاهن مسناً ذا لحية بيضاء، على دراية فائقة بما تكنه قلوب البشر. فمكث (هرقـل) بالمعبد يـومين، وعنـدما هـم بالرحيل كان قد اصبح رجلاً اخر)[121]، ولم يوضح المنشد شيئاً عما جرى وماذا كان علاج الكاهن الذي على دراية فائقة بما تكنه قلوب البشر، فهل يمكننا التكهن بأن ما حصل معه هو ذات ما حصل مع (انكيدو) اذا ما عرفنا بأنه كان مما هو شائع في بلاد

---

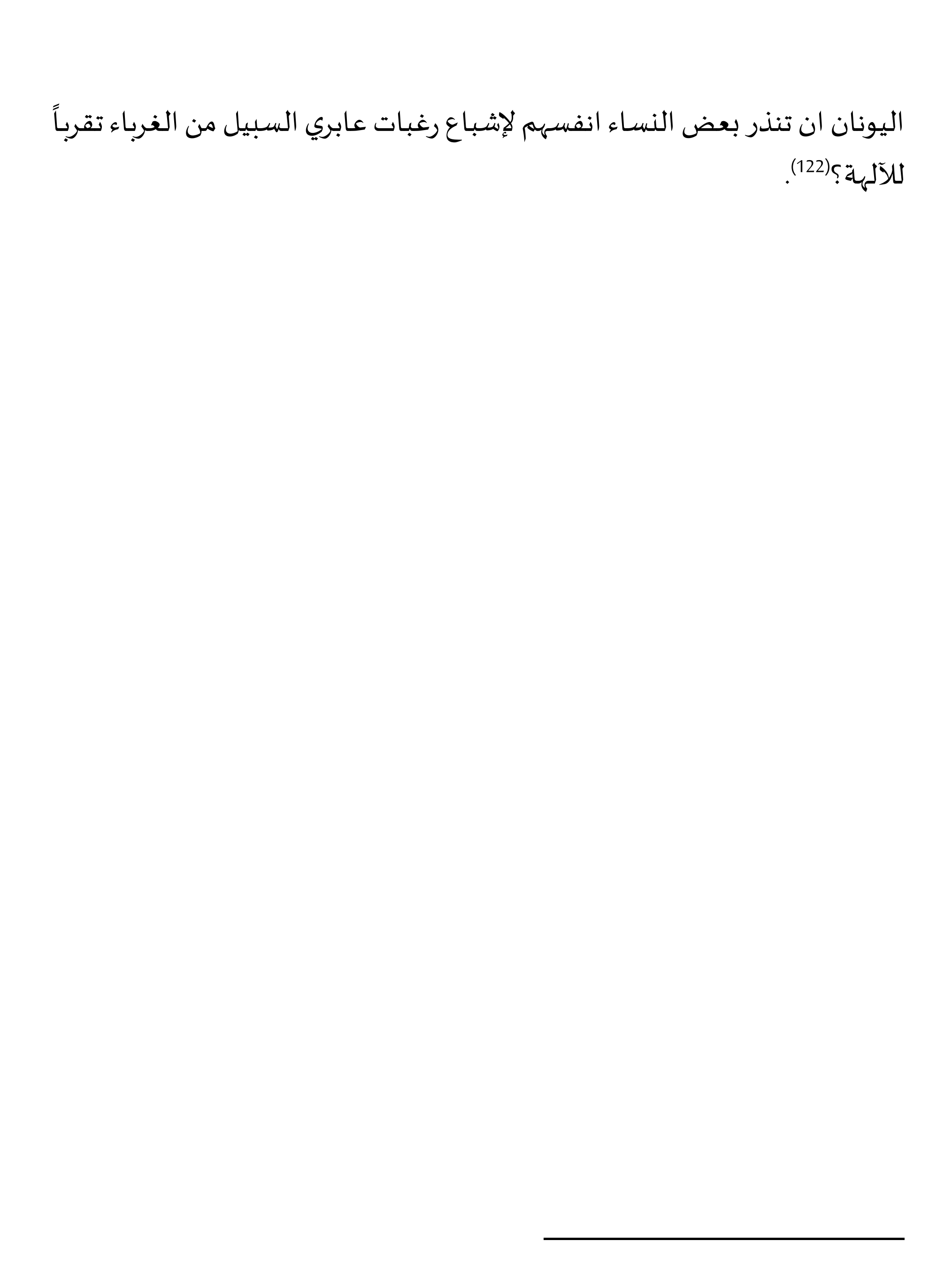
(117) طه باقر، ملحمة، ص63-64.

(118) ايضاً ص68.

(119) ايضاً ص63.

(120) ايضاً ص68.

(121) كنجزلي، ذكر سابقاً ، ص4.



اليونان ان تنذر بعض النساء انفسهم لإشباع رغبات عابري السبيل من الغرباء تقرباً للآلهة ؟[122].

(122) الدباغ، آلهة، ص129.

يبقى الموت هاجساً يقض مضجع الانسان بسيطاً كان ام بطلاً، ذلك انه لمن الصعب عليه تقبل (فكرة القضاء على وجوده الشخصي كظاهرة طبيعية لا مناص من حدوثها. هذه الحقيقة هي نفس الحقيقة التي انكرتها الاسطورة وحاولت القضاء عليها. فلقد بينت ان الموت لا يعني فناء الحياة الانسانية، وكل ما يعنيه هو تغير في صورة الحياة، أي حلول صورة من صور الوجود محل صورة اخرى)[123]، ولا شك ان الانسان اليوناني وهو ينظر الى الموروث الانساني حوله كان يسعى لأن يستلهم من مجاوريه ما يدعم ثقته بأن الحياة من الممكن ان تستمر وان كان بصورة اخرى و (في بعض الاحيان يجب على المرء القول بأن الاسراف الكبير في الخيال الشرقي حرر الاغريق من الحدود التي كانت تحدد زوايا نظرهم، قادتهم للتفكير في دورات عشرة الاف سنة من الاجيال البشرية، في اللانهاية وراء السماء المرئية، وتحت اسس الارض، في الحياة التي لا ترتبط بالرحم والقبر، ولكن تتحدد في اجساد مختلفة جيل بعد جيل)[124].

ان (هرقل) الخاضع لإرادة (زيوس) الذي رسم له مستقبلاً زاهراً تعويضاً له عن المملكة الارضية، كان يجد الخلود بالانصياع لإرادة (ملكه) حين يوفق الى عمل يجني من وراءه شهرةً وصيتاً واحتراماً وتبجيلاً، مثلما كان (جلجامش) وهو يأتمر بأمر (انو) حين يؤكد (عزمت لأرتقين جبال الارز وادخل الغابة)[125] (واذا ما هلكت

(123) كاسيرر ذكر سابقاً، ص75.

(124)West, M. L.: Early Greek philosophy and the orient, at the clarendon press, Oxford, 1971, P. 242.

(125) طه باقر، ملحمة، ص76.

فسأخلد لي اسماً)[126]. الا ان ما يعتمل بين جوانح البطلين اكبر من ان يتوقف عند جملة اعمال مهما كانت خارقة. واذا كان العالم الاخر هو ما يرعب الابطال والبشر فأن اقتحامه والهبوط اليه هو اقصى افعال البطولة. ان مكونات رحلة (هرقل) الى العالم الاخر تكشف الكثير من عناصر الاستمداد من الفكر العراقي القديم، ما دامت مثل هذه الرحلة كان اول من جرؤ على الحديث عنها هو ابن الرافدين.

تتباين الصور التي يقدمها المنشد اليوناني عن بطله. ففي الوقت الذي يؤكد هوميروس (حتى هرقل لم يهرب من قبضة الموت وهو الذي كان عزيزاً جداً لدى رب الارباب(زيوس بن كرونوس) اذ ان القدر وغضب هيرا الثقيل قد اتيا عليه)[127] فأن هزيود يعكس صورة اخرى حين يقول (هرقل المجيد الذي قدم للآلهة عملاً عظيماً يقضي الان كل ايامه بعيداً عن الالام والشيخوخة)[128].

وهاتان الصورتان ربما تعكسان توليفاً بين روايتين لا بد ان المنشد اليوناني قد استقاهما من العراق القديم. تتحدث الاسطورة العراقية عن آلتين وهبتهما (اينانا = عشتار) الى (جلجامش) هما (بوكّو) و (ميكّو) ولا يهمنا ما هما، الا ان المهم هو ان البطل قد اسقط هاتين الالتين في العالم الاسفل. واذ جلس البطل ينوح على آلتيه رق له قلب صديقه (انكيدو) فتطوع لاستعادتهما، وهكذا تبدأ رحلته مع تحذير من عدم ارتكاب مخالفات بحق قوانين العالم الاسفل والتي لم يلتزم بها حيث يحتجز

---

(126) ايضاً ص77.

(127)Homer, op. cit., 18:117-119.

انظر ايضاً: زكي، ذكر سابقاً، ص21.

(128)Hesiod, Theogony, P. 954-55.

هناك[129]. و (هرقل) يفعل الامر ذاته حين يرحل الى العالم الاسفل لإحضار حارسه (كيربروس)، وكما حُذر (انكيدو) كذلك حُذر (هرقل) من المخالفة[130]. الا ان الاخير التزم بوصايا (هاديس) فعاد سالماً خلافاً لـ (انكيدو) فالمنشد اليوناني كما يبدو يأخذ الصورة المقابلة التي يجدها الاليق ببطله. ولا بد ان نلاحظ، وهو ما يدفعنا للاعتقاد بالاستمداد، ان فكرة (الشبح) التي تظهر عند العراقي القديم نجد ما يقابلها عند زميله اليوناني، فاذا كان (جلجامش) قد وسط الاله (انكي) لأنه يأمر الاله الشمس:

افتح فتحة العالم السفلي

واخرج شبح (انكيدو) من العالم السفلي[131]

فأن هذه الصورة نجدها في حالة بطلنا واضحة حين يلتقي (هرقل) ببعض احبائه وهم (اشباح) مثلما يقاتل بعض الاشباح الاخرين حين يخبر بأنها ليست (الا اشباح واهية لا حول لها ولا طول بل ان ضربة السيف لا تنال منها)[132]، فيكف عن مقاتلتها. ان فكرة العودة من العالم الاسفل اذا لم تتحقق مع (انكيدو) فلا شك انها تظهر واضحة في حالة (اينانا = عشتار) التي ذهبت يوماً للبحث عن (تموز) لتعيده الى العالم الاعلى. ويبدو لنا ان المنشد اليوناني يستفيد من اسطورة (هبوط اينانا الى العالم الاسفل)[133] اكثر من رحلة (انكيدو) الخاسرة، وما يدفعنا الى هذا هو الاعتقاد الذي يراه الاستاذ (ادوارد نوردن) بوجود رواية مفقودة بعنوان (هبوط

---

(129) كريمر، صموئيل نوح: الاساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971، ص58-60.

(130) عثمان، ص36-39.

(131) كريمر، ذكر سابقاً، ص91.

(132) عثمان، ذكر سابقاً، ص38.

(133) انظر نص الاسطورة: بشير يوسف فرنسيس: طين سومر الخالد، سومر، ج2، مج3، مديرية الاثار، بغداد، تموز، 1947، ص206-211.

هرقل الى العالم الاسفل)[134]، واذا صح ذلك فأن تشابه العنوانين فيه ما يكفي من النظر.

ان مسار حياة (جلجامش) ونهايته لا تبتعد كثيراً عن مثيلها عند (هرقل)، فاذا كان (هرقل) قد خرمه الموت فهو النهاية ذاتها لجلجامش الذي اخبره (اوتونابشتم) الخالد باستحالة الخلود لغيره لأسباب ذكرها مما يعني ان الموت كان مصير البطل العراقي، بل ولا بد ان نلاحظ ان عشبة الخلود التي نصحه (اوتونابشتم) بالبحث عنها بالبحر وقامت (الحية) بسرقتها[135] لا نعدم مثيلاً لها في تلك العشبة السحرية الحامية من اذى الادميين والتي كانت (جايا) تبحث عنها لتحمي ابنائها فضللها عنها (زيوس)[136].

وتبدو رواية (هزيود) استرجاع لذات الواقعة التي حصلت لـ(اوتونابشتم)، فمثلما ان الاخير قد وهبته الالهة الخلود على ما قدمه من افعال فعاش بعيداً وراء البحار[137]، كذلك حال (هرقل).

ولأجل التوفيق بين واقعتين، واقعة موت (هرقل) وواقعة خلوده، تأتي رواية التي ترى ان شبح البطل فقط هو ما يسكن في هاديس (العالم الاسفل) اما هو فيعيش مع الخالدين فوق جبل (اولمبس)[138]، لان زيوس ذاته قد منح كل من شارك في حرب الالهة وبضمهم (هرقل) مع العمالقة لقب (اولمبي)[139].

---

(134) عثمان، ص75.

(135) طه باقر، ملحمة، ص149.

(136) عثمان، ص18-19.

(137) طه باقر، ملحمة، ص121.

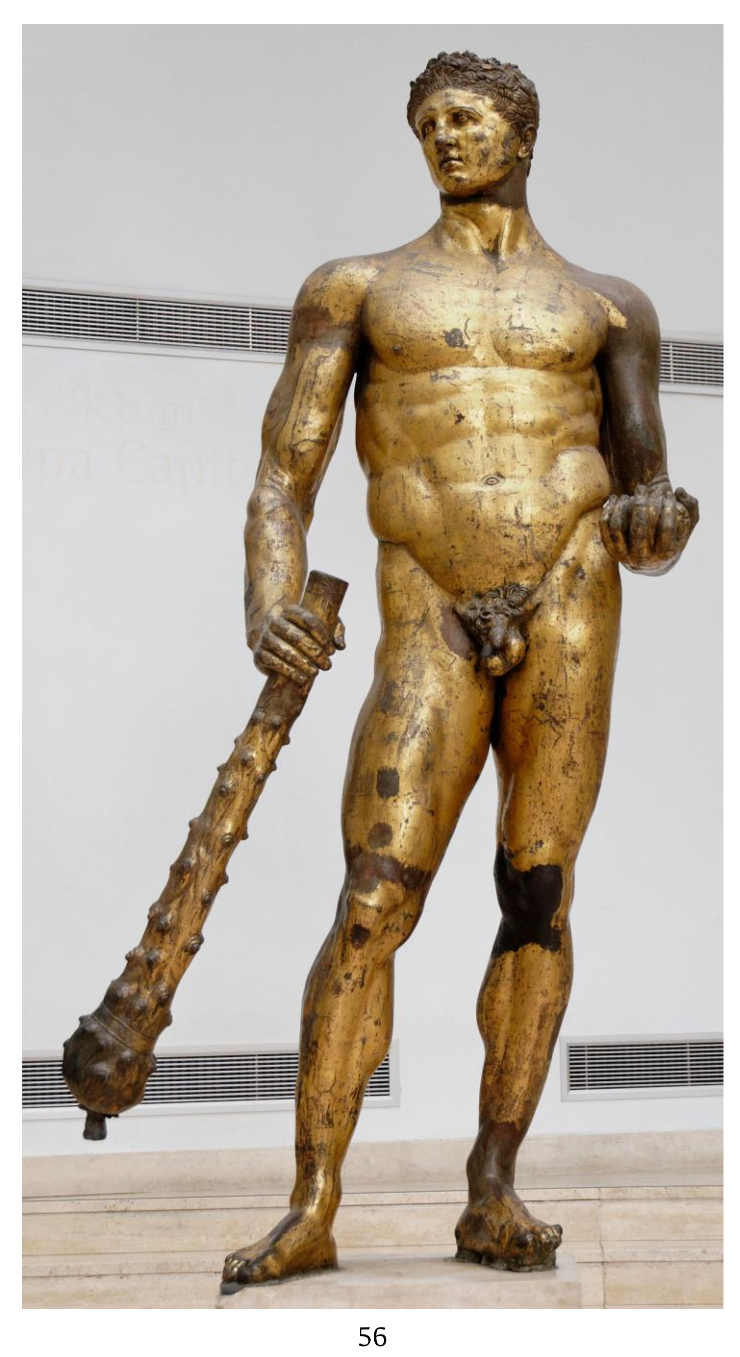
(138)Homer, od. 11: 601-4.

(139) عثمان، ص20.

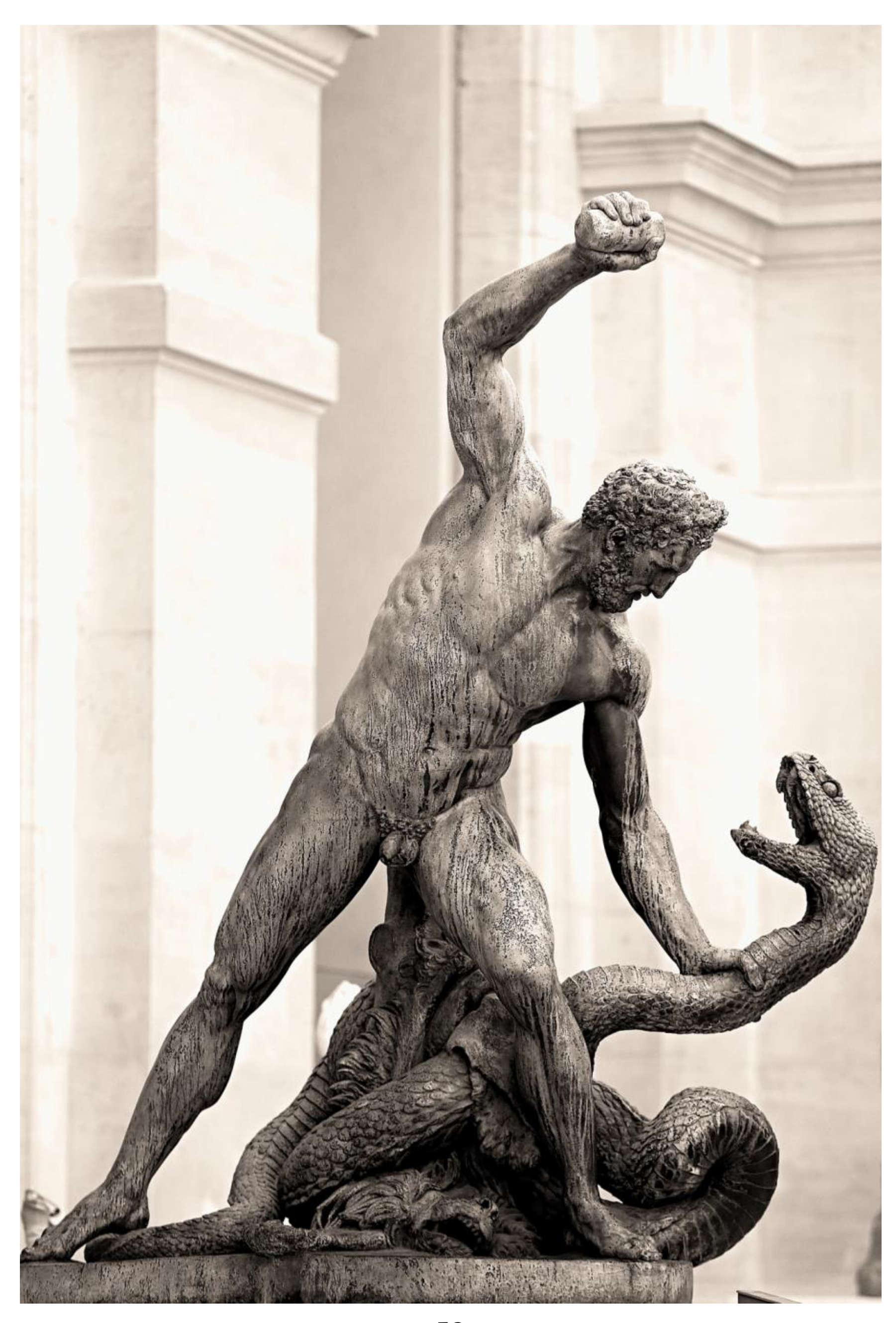
ملحق

هرقل في الفن

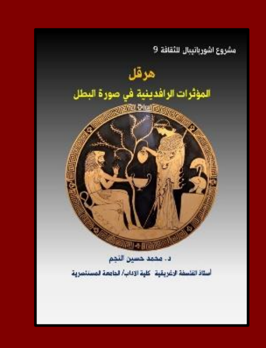












هرقل

المؤثرات الرافدينية في صورة البطل

د. محمد حسين النجم

يقول ارنست كاسيرر: "لم نصادف تاريخياً اية حضارة كبيرة لم تخضع لجوانب اسطورية، ولم تشيع بها، فهل يمكننا القول بأن كل هذه الحضارات البابلية والمصرية والصينية والهندية واليونانية ليست اكثر من اقنعة للغباء البدائي ؟"() ولا شك ان الكثير من الباحثين حاولوا ان يغمزوا طرف الاسطورة واستحقاقها الانتماء الى ميدان الفكر من خلال ما تتسم به من سمات تنتمي الى جانب الشعر اكثر منها الى جانب الحقيقة. وحقيقة الحال ان التصوير (الشعري الذي في الاسطورة ليس مجرد سرد لقصة رمزية. ان هو الا ثوب اختاره البدائي بعناية للفكر المجرد). واذا كان (التفكير التأملي يحاول وضع دعامة تحت فوضى التجربة تمكنه من الكشف عن معالم بناء ما، معالم التنسيق والتماسك والمعنى التي هي فيه) فالذي لا شك فيه ان ثمة (تداخل بين الشعر والحقيقة وبين الاسطورة والواقع والاثنان متطابقان).